حديث: ((يضحك الله لرجلين يقتل أحدهما الآخر))

بحث في مشكل الحديث

إعداد / مها مصطفى توفيق إبراهيم

قسم الفقه وأصوله

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

Arwaroka22@yahoo.com

خلاصة—هذا البحث يبحث في حديث: ((يضحك الله لرجلين يقتل أحدهما الآخر)).

الكلمات الافتتاحية: حديث، يضحك الله لرجلين، يقتل أحدهما الآخر.

I. *المقدمة*

التعرف على حديث: ((يضحك الله لرجلين يقتل أحدهما الآخر)).

II. موضوع المقالة

تخريج الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ε: ((يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيُقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيستشهد)) متفق عليه.

وجه الإشكال في الحديث:

هذا الحديث تضمن أمرين من مسائل الاعتقاد : التي قد تُشكل على بعض الطوائف ممن سلك سبيلًا في الفهم، وطلب المعنى غير المنهج الذي هدانا إليه رسول الله ε وسار عليه سلف هذه الأمة وأئمتها.

المسألة الأولى : التي اشتمل عليها هذا الحديث وسبق الإشارة إليها مما استشكله بعض الطوائف: إثبات صفة الضحك لله تعالى، وهو ظاهر في الحديث.

والمسألة الثانية : متعلقة بالأسماء والأحكام، حيث ورد في الحدي ث التجاوز عمن قتل نفسًا مؤمنة بغير حق، مع الوعيد الشديد الذي جاء في نصوص أخرى توهم معارضة هذا الحديث.

فقول رسول الله ε: ((يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله، فيقتل)) ينال الشهادة على يد هذا الرجل الذي قتله ظلمًا وعدوانًا، ((ثم يتوب الله - جل وعلا- على هذا القاتل))، يوفق هذا القاتل إلى التوبة النصوح بشروطها، والتوبة تهدم ما كان قبلها، قد يكون هذا القاتل كافرًا ثم يسلم، والإسلام يجُبُّ ما قبله، أو يكون عاصيًا باغيًا يقتل أخاه المسلم بغير جناية، ثم يمنّ عليه الرب - جل وعلا- بالتوبة النصوح التي تهدم ذلك الذنب العظيم، فيسلم إن كان كافرًا، أو يتوب إن كان باغيًا.

((فيقاتل في سبيل الله فيقتل فيستشهد))، وكل من الشهيد الأول والشهيد الثاني في الجنة، ولا شك أن أمرهما عجب، يجتمع اثنان في الجنة أحدهما قتل الآخر، مع ما جاء من نصوص الكتاب والسنة القطعية من تعظيم شأن القتل، وهذا القاتل والمقتول كلاهما في الجنة، بالمقابل جاء: ((إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار)).

هنا القاتل والمقتول في الجنة، وهناك القاتل والمقتول في النار؛ لأنه هنا قتل المقتول ظلمًا، فهو شهيد، وتاب ه ذا القاتل فقتل مثل أخيه ظلمًا فنال الشهادة، أما في الحديث الآخر: ((إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار)) إذا تقاتلا على الباطل، وفي الفتن الذي لا يُدرى ما وجهها، لا شك أن مثل هذا القاتل ارتكب أمرًا عظيمًا وجرمًا خطيرًا فهو في النار، والم قتول؟ ((قالوا: هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال : كان حريصًا على قتل صاحبه)) فبنيته دخل النار، وهذا من أحاديث الوعيد، يدخلون النار إذا كانوا مسلمين ثم ينقون ويعذبون ومآلهم - إن شاء الله تعالى- إلى الجنة، على كل حال القتل شأنه عظيم، وخطره جسيم، والإقدام عليه د لالة على رقة في الدين، وجهل عميق، وخلل في العقيدة عظيم، والله المستعان.

وقول رسول الله ε: ((يضحك الله إلى رجلين)) فيه إثبات صفة الضحك لله - جل وعلا- على ما يليق بجلاله وعظمته.

والضحك قريب من الفرح والرضا والمحبة، من حيث المعنى العام، وهو صفة من صفات الأفعال تقوم بالله تعالى كما يليق به، وهو من الصفات التي انفردت بها السنة إذ لم يرد ذكرها في القرآن الكريم، وهذا الانفراد لا يؤثر عند أهل السنة والجماعة؛ لأن ما ثبت بالسنة الصحيحة كالذي ثبت بالقرآن دون فرق، لأن القرآن نفسه يأمر الله فيه عباده بالأخذ بالسنة مطلقًا ، جاءت "مؤكدة" أو جاءت "بانّيةً" ودون تفريق بين الأحكام والعقيدة.

ومما ورد في إثبات صفة الضحك الأحاديث التالية:

١.حديث أبي هريرة ((يضحك الله I إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، فيدخلان الجنة. يقاتل هذا فيُقتلُ فيتوب الله على القاتل، فيسلم، فيستشهد)). متفق عليه.

٢. حديث أبي موسى الأشعري : ((يتجلى ربنا ضاحكًا يوم القيامة)) صححه الألباني في (صحيح الجامع).

٣. حديث أبي رزين العقيلي : ((قال: يا رسول الله، أيضحك الله I؟ فقال: نعم، فقال: لن نعدم من رب يضحك خيرًا)) رواه أحمد وابن ماجه.

ولابن القيم تحقيق قوي في بيان هذه الصفة، وإثباتها لله تعالى، وذلك بأسلوب رصين يوضح فيه مناسبة هذه الصفة لسائر الصفات من المحبة والفرح، ونحو ذلك، وذلك حيث يقول -رحمه الله: "ومن هذا ضحكه سبحانه من عبده حيث يأتي من عبوديته بأعظم ما يحبه فيضحك سبحانه فرحًا ورضًا، كما يضحك من عبده إذا ثار عن وطائه وفراشه ومضاجعة حبيبه إلى خدمته، يتلو آياته ويتملقه، ويضحك من رجل هرب أصحابه عن العدو فأقبل إليهم، وباع نفسه لله ولقاهم نحر ه حتى قتل في محبته ورضاه . ويضحك إلى من أخفى الصدقة عن أصحابه لسائل اعترضهم فلم يعطوه، فتخلف بأعقابهم وأعطاه سرًا حيث لا يراه إلا الله الذي أعطاه، فهذا الضحك إليه حبًا له وفرحًا به . وكذلك الشهيد حين يلقاه يوم القيامة، فيضحك إليه فرحًا به ويقدومه عليه". اه-.

هكذا يوضح شمس الدين ابن القيم أن ضحك الرب سبحانه إلى بعض عباده في بعض تلك الحالات الخاصة، فإنما هو ضحك رضا وفرح ومحبة؛ لأن الشخص أو الأشخاص الذين يضحك إليهم قد أتوا بأعظم أنواع محابه من جهاد في سبيل الله، ومن بيع للنفس لله، ومن المناجاة التي تفضل الله بها عليهم. وهكذا تجده سبحانه يوفق من شاء من عباده ليأتي بمرضاته فيتقبل منه، ثم يفرح به حتى يضحك إليه رضًا ومحبة.

سبحانك ما أعظمَ شأنَك!!

أما الجمهية الجُفاة والمعطلة النفاة فلم يستطيعوا أن يستوعبوا هذا الموقف الكريم من ربنا العظيم، ولم يوفقوا ليُسلّموا له ويفوضوا الأمر إليه، بل أخذوا يتخبطون كالناقة العشواء تصعد وتنزل وتذهب وتجيء، ولا تدري أين السبيل؟!!

وقد أشكلت عليهم هذه الصفة لعدم اعتمادهم عل الأدلة النقلية التي سقناها من السنة المطهرة، وهي -كما قلنا سابقًا- قد انفردت بها السنة المطهرة، ثم هي من الصفات الخبرية المحضة التي الأصل فيها الأدلة النقلية، وأما العقلية فتتبع لها على حسب منهج السلف. فليس في إثبات الضحك أي محذور؛ لأنه ضحك ليس كمثله شيء.

وأما قولهم: إن المراد بالضحك الرضا والثواب الجزيل، فهي شنشنة نعرفها للفلاسفة، وأذنابهم من علماء الكلام، فليست غريبة علينا ولا هي جديدة عليهم.

وهذا هو التخبط الذي أشرنا إليه، وهم في غنًى عنه لو حالفهم التوفيق.

والعجيب من أمرهم أنهم إذا مرت عليهم صفة الرضا أوَّلوها بالثواب أو بإرادة الثواب، وإذا مرت بهم صفة التعجب أو الفرح أوَّلوها كلها، إما بالثواب وما في معناه أو بالإرادة، وكذلك صفة الرضا.

وهاهم هنا يئولون الضحك بالرضا، فعلام يدل هذا التصرف؟!!

يدل على ما ذكرناه سابقًا في غير موضع من أن عقيدة القوم عقيدة تقليدية لا تستند إلى دليل أو قاعدة: "سمعنا الناس يقولون شيئًا فقلناه"!!

وهذا المعنى هو الذي دعا في آخر المطاف الإمام أبا الحسن وكبارَ شيوخ الأشعرية بعده إلى الرجوع عن هذا التخبط إلى منهج ثابت مبني على أساس قوي، لا تؤثر فيه الشبهات، وهو منهج أهل الحديث والسنة الذي درَج عليه سلف هذه الأمة.

وأراد بعضهم أن يتفلسف أكثر فقال: الضحك خفة الروح، فيكون عند تجدد ما يسُر واندفاع ما يضُر. فيقال له: أدركت شيئًا وفاتتْك أشياء، إن الضحك الذي تحدثت عنه هو ضحكك وضحك أمثالك من مخلوقات الله.

أما ضحك الخالق العظيم سبحانه فلا تُدرك حقيقته؛ لأنك لم تدرك الخالق، فكيف تُدرك حقيقة ضحك الخالق؟ إذ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

المراجع والمصادر

١. الطحاوي، أبو جعفر الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م.
٢. الأصبهاني، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، مشكل الحديث وبيانه، حلب، دار الوعي، ١٩٨٢م.
٣. موسوعة علوم الحديث، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٤. الزركشي، بدر الدين الزركشي، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م.
٥. الغنيمان، عبد الله الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، المدينة المنورة، مكتبة الدار السفلية، ١٤٠٥هـ.
٦. بن منبه، همام بن منبه، صحيفة همام بن منبه، شرح وتحقيق : رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ١٩٨٥م.
٧. الدينوري، شهدة بنت أحمد بن فرج الدينوري، العمدة في مشيخة شهدة، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٠م.
٨. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينوري، تأويل مختلف الحديث، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.
٩. أبو شهبه، محمد بن محمد أبو شهبه، دفاع عن السنة، مكتبة السنة، ١٩٨٩م.
١٠. عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، دار القرآن الكريم، ١٩٨٦م.
١١. الأعظمي، محمد مصطفى الأعظمي، منهج النقد عند المحدثين، مكتبة المجلس، ١٩٨٢م.